محاولة التنظير
لمسار الاجتماع العائلي الجزائري

الأستاذ بوتخيل معطي
أستاذ محاضر بجامعة سعد دحلب، البليدة

مقدمة:

من خلال بحث:**"العائلات الجزائرية:تحديات و رهانات و إنتاج المعنى. "دراسة سوسيو- تاريخ حياة بعض العائلات من "النعامة"، الجزائر، أطروحة دكتراه، جامعة الجزائر، 2011، جزئين، 780صفحة.** [1]

تبين لي أنه بالإمكان اقتراح محاولة للتنظير و التي أعتبرها بداية التفكير النظري في موضوع الاجتماع العائلي الجزائري. و الذي يمكن أن يمتد إلى التنظير على مستوى الدول المغاربية على وجه الخصوص. ذلك "أن مجموعة من الأطروحات لا يمكن أن ترقى إلى مرتبة التنظير إلا بعد أن تكدس العارف التي تصل أثناء تطورها إلى درجة معينة من النضج. بعد الانتقاء وتوصيف الوقائع التي تعتبر تحضيرا للنظرية. فالنظرية يجب أن تشمل على توصيف الوقائع و تفسيرها و إلقاء الضوء على القوانين التي تسيرها". [2]

فبعد هندسة الموضوع وانتقاء العناصر التي تؤدي إلى فهم العائلات الجزائرية عن طريق الخيط الموجه لذلك"le fil conducteur "و المتمثل في فقه التحديات و الرهانات و المعنى المنتج. و بعد التوصيف للوقائع و إعطاء تفاسير لهذا الواقع المركب و المتضامن. أحاول أن ألقي الضوء على القوانين التي تكمن وراء هته السيرورات. من كون أن التغيير في الجزائر مقترن بما يلي:

1. بالتغير وفق الصدمات:من الصدمة الكولونيالية مرورا بصدمة الاستقلال إلى الصدمة المتعددة الأبعاد:السياسية، الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية و الأمنية،
2. بالتغير من التصلب و الانغلاق على الذات إلى المرونة و الانفتاح على العالمين،
3. بالسير من الجماعي(القبلي/العائلي) إلى الفردي(الأسري/الشخصي)،
4. بالتغير من الذكوري إلى النسواني.

و أن هته التغيرات هي التي تفرز التحولات على المستوى الكلي و كذلك على مستوى البنيات العائلية و الأسرية. و كذلك على مستوى الشخصية القاعدية للفرد الجزائري.

---

[1] بوتخيل معطي، **العائلات الجزائرية: تحديات و رهانات وإنتاج المعنى**."دراسة سوسيو- تاريخ حياة بعض العائلات من "النعامة"،الجزائر،أطروحة دكتراه، جامعة الجزائر،2011، جزئين،780 صفحة.

[2] Risan RAUZDUEL, **Sociologie generale**, Publisud, Paris, 1996, P.50.

أن مسار التغيرات التي عرفتها الجزائر، كانت وفق **الصدمات:من الصدمة الاستعمارية، فصدمة الاستقلال ثم الصدمة المتعددة الأبعاد**. وأن **الاجتماع العائلي الجزائري تتقاذفه نزعتان:النزعة الذكورية و النزعة النسوانية.** و نحن في وضعية لا يمكننا التفاعل مع العالم الخارجي:أي إحداث الفعل و رد الفعل، الأخذ و العطاء، ما دمنا في وضعية المهيمن عليه من الناحية الحضارية عموما. فنحن نتأثر و لا نؤثر. و منه النزعة النسوانية المنتصرة. و العيش في زمن مزدوج تتقاذفه نزعتان متناقضتان: فردية/جماعية و عائلية/أسرية.

أحاول تبيان التحولات المفاجئة، سريعة و صعوبة التحول من الجماعي إلى الفردي:و قد تبين لنا أن شخصا واحدا قد عايش مرحلة العبودية و هو الآن يعايش العالم الافتراضي من خلال أحدث وسائل الاتصال. الأمر الذي نتج عنه صعوبة التحول:**من التقليدي المحافظ، الجماعي العائلي، إلى العصري الحداثي، الفردي الأسري.** الأمر الذي أحدث ظواهر جديدة:اعتماد **المغالبة** في فرض النزعة النسوانية المنتصرة. بالرغم من المقاومة الذكورية لها. و إقصاء بعض الإناث، بصفة نهائية من المؤسسة الزواجية. و مع كل ذلك تبقى المؤسسات العائلية تنتج و تساهم في الفعل الحضاري المحلي. ذلك أنها انتقلت من **التصلب إلى المرونة:فمن الوضعية التي كان فيها** "كبير العائلة" يتمتع بسلطة مطلقة. إن لم نقل تسلطية كبيرة على كل أفراد العائلة ذكورها و إناثها. واعتماده تعدد الزوجات. و تمسكه بالحرفة و كذلك المكانة الموروثة من طرف الجدود و الآباء. انتقاله و الأجيال التي تلته إلى **تسامحية** permissivité كبيرة في ما يخص السلطة. وصلت إلى حد التسيب. بحيث إن المرأة صارت **تتكلم**. أي لها سلطة الكلام النافذ. أبناءه تخلوا عن التعدد بصفة كلية. و صاروا يمارسون مهنا مغايرة لمهنة الآباء. بل و صاروا يحققون حراكا اجتماعيا عموديا مهما. و تحسين من المكانة، الأمر الذي دفع إلى اعتماد المزيد من المرونة في التنظيم العائلي المحلي.

1. تحولات مفاجئة، سريعة و صعوبة التحول من الجماعي إلى الفردي:

ـ شخص عاش من عصر العبودية إلى الآن:قبل الحرب العالمية الثانية كان امتلاك الرقيق/العبيد/ معمول به. و جل العائلات الغنية كانت تمتلك عبيدا. و شاهد العيان هذا ما يزال حيا يرزق إلى الآن2005 و عمره 72 سنة. مخبرنا هذا الذي يحدثنا عن معايشته لعصر العبودية. و هو ما يزال حيا يرزق. تبين لنا سرعة التغير الاجتماعي الحاصل في الجزائر. مما يبين صعوبة المرحلة الانتقالية. التي تحدث في حياة شخص واحد بينما تطلب ذلك، في المثال الغربي، تعاقب عدة أجيال. حتى تنتقل هته الأجيال من العبودية إلى الديمقراطية. مما يبين التدرج في التغير و تأقلم كل جيل مع بعض الأفكار المستجدة. و يطلب عندنا من شخص واحد أن يقوم بهذا الجهد.

ـ تغيرات سريعة أصابت القيم و أثرت على صياغة المعنى و سببت في إشكاليات العائلة/الأسرة: تحديد الذكر و الأنثى، تغيير المعنى و كذلك الوظيفة و السلطة و حتى تقسيم مجالات السلطة، شكل التنظيم العائلي الذي انتقلت من العائلة إلى الأسرة.

في العائلة السلطة ممركزة عند الأب على أبنائه المتزوجين و كذلك على النساء و الأطفال. يتم تحديد المهام لبعض الأبناء و تكليفهم بها. و الأب هو مصدر للسلطة. صارت سلطة زواجية(الزوجان يسيران شؤون أسرتهما).

الأسرة صارت متحركة:من الحراك التعليمي للجنسين الذكر و الأنثى على حد سواء. ثم التحرك الجغرافي و التحرر من التجذر المحلي الذي ازداد مع الحصول على استقلال الجزائر. من التحكم العائلي و حتى القبلي. ثم الحراك المهني:تعدد النشاطات و عدم التمسك بنشاط مسيطر على العائلة أو الأسرة:(تربية المواشي، التجارة، الخدمات). بل صار كل فرد من الأسرة له نشاط يختلف عن النشاط الممتهن من طرف بقية أفراد الأسرة الواحدة. و من ثم لم يعد تثمين الخبرة المكتسبة من طرف الجدود لتمنح للأحفاد. و ذلك من شأنه عدم الاكتفاء بالمعارف التي كدست من طرف العائلة. و محاولة اكتساب معارف أخرى عن طريق التعليم و التمهين. ثم الحراك الاجتماعي:بالنظر إلى الخدمة المقدمة في مجال التعليم. فإن أعدادا متزايدة من الشباب واصلت تعليمها العالي. في اختصاصات سمحت لها بحراك اجتماعي معتبر. بالنظر إلى وضعية أفراد العائلة الذين لم يتلقوا تعليما. أو تلقوا تعليما غير كافيا. أو الذين تلقوا تكوينا متواضعا. الانتقال من شكل العائلة إلى شكل الأسرة غير من الكثير من العلاقات الاجتماعية التي كانت قائمة.

ففي شكل العائلة:

ـ الزواج مرتب من طرف الأولياء. سواء كان ذلك بالنسبة للذكور أو الإناث على حد سواء.

ـ الأهمية تعطى للنسب و الحسب. و كذلك مصلحة العائلة بالدرجة الأولى أكثر من مصلحة المتزوجين. فمصلحة العائلة تعلو و لا يعلى عليها.

ـ العائلة تعتبر مصدر للأمان و تأمين منتجها. و إن كان متزوجا و له أطفال.

ـ القران غالبا ما كان على أساس المكانة التي تحتلها العائلة. التي تفضل التصاهر مع العائلات التي تماثلها في المكانة الاجتماعية. فالمصاهرة كانت لها جوانبها الموضوعية. و تحرص على استمرار بعض القيم و احترام بعض الأنماط الجاهزة.

ففي شكل الأسرة:

ـ اختيار الشريك في حد ذاته و لذاته صار مهما إلى جانب "الحسب و النسب"، الذي صار يحتل الدرجة الثانية. ذلك أن مشروع الأسرة هو مشروع يهم حياة الزوجين بالدرجة الأولى. أكثر من حياة عائلة الزوجين. و من ثم صار الشريك ينتقى حسب درجة العلم، العمل، إمكانية العمل كتأمين. إذا ما عجز الزوج عن تأمين الضروريات. فإن الزوجة يمكن أن تعين على ذلك.

ـ وجود علاقات فردية بين الرجل و المرأة قبل الزواج. و تعارف شخصي. بخلاف الوضع السابق التي كانت تستحيل فيه هته العلاقة. إلا إذا تمت بين الأقارب. فالتعارف يكون حاصلا بحكم القرابة.

ـ البحث عن استقلالية الأسرة. بالخصوص من الناحية السكنية و المادية.

ـ القيم صارت أكثر فردية تخدم مصلحة كل فرد متعاقد في المؤسسة الزواجية. وابتعدت تدريجيا عن البعد الغيري و المتعلق بمصلحة العائلة.

التغير: 1) تقلص الدور الحمائي من طرف العلاقات القرابية للعائلة(القبيلة).

2) تقلص الدور الحمائي من طرف العائلة لعناصرها:ضمان الزواج، العمل و السكن.

3) تقلص التكفل الحمائي من طرف الدولة(الدولة المسعفة).

ـ بالنسبة للزواج في المنطقة هناك ثلاثة احتمالات غالبة:

1 ـ الزواج الأحادي:و هو زواج الرجل من امرأة واحدة. و المرأة من رجل واحد و في نفس الزمان و الوقت. و هذا هو الأسلوب الغالب و المهيمن.

2 ـ تعدد الزوجات:كان هذا النمط منتشرا في العائلات الكبيرة. و التي تملك الرزق الواسع. و الذي يعدد هو كبير العائلة. و ناذرا ما يعدد أبنائه و هو ما يزال على قيد الحياة. و التعدد كانت له وظيفة عملية:إقحام يد عاملة نسائية إلى العائلة. و ما تنتجه من موارد بشرية و المتمثلة في "الأولاد". و له وظيفة رمزية: إظهار السلطة و المال. الذي يتمتع به كبير العائلة. و قد رأينا انتشار التعدد لدى فئة "كبراء العائلات"، في الجيلين الأول و الثاني من الدراسة. وقد تراجع التعدد إلى درجة الانعدام مع الجيل الرابع[1]. و يبدو أن العزوف عن التعداد هي سيرورة اجتماعية. بدأت مع الجيل الثالث و الأجيال التي تليه. و لم تكن وليدة "الحجر الذي فرضه قانون الأسرة الجزائري المعدل". فهناك تغير هيكلي:فإذا كان تأخر الزواج يعرف تصاعدا أكيدا على المستوى الوطني الإحصائيات تبين هذا التغير الهيكلي. فسن الزواج تطور بالنسبة للإناث من18 سنة(66)إلى27. 6 سنة(98). أي بزيادة(عشرة)سنوات في(30)سنة. و بالنسبة للذكور تطور من(23. 2)سنة(66)إلى31. 3سنة(98). [2]و الذكور سجلوا زيادة قدرها ثماني(08)سنوات في نفس المدة. و هناك من سجل إقصاء نهائيا من مؤسسة الزواج. و بالخصوص بدخول الألفية الجديدة.

ـ الإقصاء من مؤسسة الزواج:و هي ظاهرة لم تكن موجودة في الجيل الأول و الثاني. بالنظر للزواج المبكر و التعدد. و اعتماد الزواج الداخلي. ثم إلزامية دخول كل الإناث إلى مؤسسة الزواج. و لم يكن أي بديل آخر لهته المؤسسة. سواء من تعليم مستمر أو إمكانية العمل المأجور. و لا أي أولوية أخرى تسبق المؤسسة الزواجية. فبمجرد بلوغ الرجل و المرأة سن الرشد، و حتى قبل هته السن بالنسبة للإناث، يحدث الزواج.

2. من الروابط الدموية إلى العلاقات الاجتماعية:

---

[1] الجيل الأول:شهد الحرب العالمية الأولى،الجيل الثاني:شهد حرب التحرير الوطنية،الجيل الثالث:شهد فترة البناء الاشتراكي، الجيل الرابع:شهد مرحلة الأزمة المتعددة الأبعاد.

[2] ONS, **Projections des ménages à l'horizon 2030**, Collections statistiques n° 118, éd. ONS, 2005.

الرابطة، الروابط، الارتباط، الربط أو الرباط. ما يمكن أن يشد الأشياء إلى بعضها. إحكام الربط أي شد الأشياء إلى بعضها عن طريق الرابط. سواء كان حبلا من حلفاء، جوته أو حديد أو علاقة دموية. فما هو نصيب العلاقات الشخصية لإنشاء شبكة من التعاملات على أساس المصلحة و المنفعة المتبادلة ؟

الإنتقال من العلاقات الحتمية المتمثلة في الروابط الدموية الملزمة و المكرهة. و التي يجب فيها على القوي مساعدة الضعيف حتى يقوى إلى علاقات اختيارية. تحكمها المصالح المتبادلة. فإن وجد فيك مصلحة أقام معك علاقة. على أن تبادله بالمصلحة مصلحة أخرى. و إلا فلا معنى لاستدامة العلاقة التي لا تنجر عنها فائدة. و بالنظر إلى وجود علاقة اختيارية يمكنها أن تجلب لنا منافع فإن العلاقة الإلزامية المكرهة التي لا نكون فيها إلا طرفا خاسرا صارت تمثل عبئ ثقيلا مهما كانت خفيفة. و منه محاولة الانفلات منها و الانفصال عنها. و صارت العائلات تنشأ من خلال أركان مجتمعة و منفصلة. يمكن أن تستدام فيها العلاقة الإلزامية المكرهة. و بالخصوص من طرف الوالد الذي ناذرا ما يتنصل من مسؤولياته و يقطع العلاقة بينه و بين أبنائه. بخلاف الأبناء الذين ما إن يتمكنوا حتى يستقلوا بأسرهم عن العائلة التي قدمت لهم الخدمات الجليلة. و هم يصيروا بدون فائدة بالنسبة للعائلة. و في إطار تبادل المنافع و المصالح. يبدوا أن الكثير من الأسر المنتمية إلى الجيل الثالث و الرابع، في الدراسة، صارت تنزع إلى التقليل من الإنجاب. الذي كان مرتبطا في الجيلين الأول و الثاني بالطبيعة. و تحول إلى اصطناعي. و مراقب حسب الرغبة. و حسب المصلحة المرجوة. فمن معدل ثماني أولاد في الأسرة إلى معدل أربعة أولاد. إلى معدل اثنين. و إن ما تزال الأسرة تنجب إلا أنها قللت من العدد. المهم أن تنجب عددا قليلا يسمح بتواتر اسم العائلة. لكن الأعداد الكبيرة صارت مكلفة و لا طائل من ورائها. **"فالولد ولد امرأته و البنت بنت زوجها".** كما عبر على ذلك "الحاج عبد الجبار". ـ أحد مخبرينا ـ.

ـ من الجماعي إلى الفردي:من العيش للآخر، العمل و التفاني في خدمته. و بالخصوص كلما ذاقت دائرة القرابة:من العائلة و الأهل و الأقارب. ثم التجمع القبلي و حتى القبائل التي يدخلون معها في تحالف. تجمع "حميان" الذي يضم 14 قبيلة. فكلما خدمت الآخر و تفانيت في خدمته، كلما كان الرصيد الرمزي الذي تجمعه مرتفعا، و في غاية الأهمية. و يمكنك من احتلال مكانة رمزية ممتازة في المجموعة. التي لا يمكنك أن تعيش خارجها. هذا الأمر الذي كانت الأجيال السابقة تتهافت عليه. و منه فإن إكرام الضيف يزيد في المكانة الرمزية للعائلة. و أن العائلة هي الكيان القاعدي للفرد. فكلما لمعت صورتها في الخارج و بين أقرانها من العائلات الأخرى، كلما ازدادت مكانته كفرد. فهو ليس 'فلان'. و لكنه ينتمي إلى العائلة الفلانية. يبدو مع الأجيال اللاحقة، و ابتداء من الجيل الثالث و ما يليه. فإن الأمور بدأت تتغير بعض الشيء. إلى درجة أن ينقلب المعنى المنتج. فصار الفرد يريد التميز. و لو انه ما يزال مرتبطا بالصورة الجماعية. و بالعائلة على وجه التحديد. و البحث عن التميز الفردي. عن طريق التعليم أولا ثم العمل ثانيا ثم الممتلكات التي يقتنيها هو

فرديا ثالثا. كل هته الاهتمامات، أدت إلى التركيز بالدرجة الأولى على خدمة الذات، و الانطلاق من المصلحة الخاصة. و التي تميزه حتى عن إخوته. بل بدأت تظهر المنافسة الشرسة حتى بين الإخوة، في عملية التميز. ذلك أن الفرق بدأ يظهر بين أعضاء العائلة. بعد أن كانت العائلة كتلة واحدة بجميع أفرادها:إناثها و ذكورها. صار كل فرد يحاول أن يخدم مصلحته الخاصة به. و صار الرصيد المادي الذي يحققه الفرد ذو أهمية بالغة. على حساب الرصيد الرمزي أي الرصيد العلائقي. سواء في الداخل مع أفراد العائلة أو مع كل المحيط. هته الماديات، التي تبرزه كفرد. فيشار إليه بالبنان. فلان حقق نجاحات كبيرة. مقارنة بمستوى عائلته أو مقارنة بما حققه إخوته.

من الرصيد الرمزي إلى الرصيد المادي:تصاحب هته النزعة التميزية للفرد. إن حقق نجاحا ماديا، الانفصال عن المؤسسة العائلية. بينما إن لم يستطع أن يتميز و يحقق النجاح المادي. فإنه غالبا ما يبقى قابعا في العائلة. يستفيد منها و يستنزف خيراتها المادية. و يستغل مكانها الرمزية لصالحه.

التغير الحاصل في المنطقة إذا هو المسار المسجل في شخص واحد عايش عدة أجيال. واتسم هذا التغيير من الانتقال من الجماعي إلى الاجتماعي. ثم من المقدس المحلي إلى المقدس الخارجي. أي من "التدين الشعبي المحلي"، و الذي يمس بالخصوص العبادات و المعاملات. غالبا ما تخضع إلى مصلحة العائلة. إلى التعامل مع المقدسات المنتجة في حضارات أخرى. و المتمثلة بالخصوص في:أ)اقتصاد السوق أو الإله الجديد، ب)حقوق الإنسان أو الإنجيل الجديد.

الاتصال في المجال العائلي و بالخصوص بين الزوجين. الاتصال عامل مهم في التواصل و التفاعل و حل الخلافات إن وجدت. فالكلام الذي يحل المشاكل مرحب به. بالنظر إلى المردودية التي ينتجها. و المتمثلة في الوصول إلى أرضية متفق عليها. بغض النظر عن من تخدم أكثر. أو لمن كانت الغلبة. المهم أن يحصل إجماع. و يحصل اتفاق. أما الكلام الذي يزيد من المشاكل، و فيه(احتدام) فلا ممدوحة فيه، و كله مكروهة. بالنظر لما يتسم به من ثرثرة و لغو الحديث. و منبع للزيادة من التوترات و المشاحنات. و لغة "معزة و لو طارت". و يبدو أن هذا النوع من التواصل هو الغالب بين الأزواج في المنطقة. و لذلك فإن كثيرا من الأزواج يرفضون كثرة الحديث التي يرون أنها تكون سببا في احتدام المشاكل و تفاقمها. أكثر من إيجاد حلول للمشاكل التي من المحتمل أن تقع بين الزوجين. و غالبا ما يستنتج الملاحظ انعدام "الديمقراطية" و "غياب الحوار" بين الزوجين. و وجود "التسلطية" لدى الرجال على النساء. يبدو أن الحس العملي، من خلال التجربة و الواقع المعاش، توصل إلى قناعة مؤداها:وجوب التقليل من الكلام بين الزوجين، في بعض المسائل الخلافية. فالزوج يتجنب التطرق إليها. لتوقعه بالنتائج التي لا تخدم الطرفين. و لو أن النساء تحاول بتحفظ، التحدث في "المسكوت عنه". أما الحوار المثمر، الذي يساعد على حل المشاكل. أو إيجاد أرضية مشتركة مقنعة للأطراف المتحاورة. فنادرا ما يحصل هذا الحديث أو التحاور. و منه فإن جعل حد

للثرثرة و لغو الحديث و الكلام المزعج، هو في حد ذاته شيء إيجابي. لا يترك الأمور تتطور نحو الخلاف، النزاع و التصارع.
البعد الحضاري الذي تسهم فيه مؤسسات التنشئة، التي لا بد من تضافر جهودها. و أن يكون لها أهداف متقاطعة لا أن تكون أهدافا متناثرة أو متعارضة. فلابد من وجود قواسم مشتركة بين مؤسسات التنشئة. و هذا لا يكون إلا ضمن منظور ثقافي و حضاري موحد. لا أقول التجانس المطلق. لأن لكل مؤسسة شرعيتها و تخصصاتها، بل و تميزها عن المؤسسات الأخرى. و قد تدخل في تعارض مع المؤسسات الأخرى. و هذا التمايز في الأهداف و التضارب في بعض الأوجه. هو الذي يكون أساس الحركية الاجتماعية. و منه الانتقال من حالة إلى حالة أخرى. لأن التجانس الكلي قد يحدث شللا أكبر من شلل التعارض. ذلك أن التجانس الكلي يحدث التوقف عن الحركة. و يحدث "السبات العميق". بينما الأمم الأخرى تتحرك بسرعة فائقة جدا بل و خيالية. و منه قوتها و هيمنتها على عوالمنا. و لكن التقاطعات مطلوبة. حتى يحدث انسجام. يمكن معه التعاون و تضافر الجهود. الأمر الذي يشعر هته المؤسسات. بأن لها هدفا حضاريا ساميا تسعى لتحقيقه. و تبقى الأهداف الثانوية محل أخذ و عطاء و إثراء و صراع. **الصراع الذي يولد الحركة لا الصراع الذي يولد الشلل.**

ـ صعوبة التحول من الجماعي إلى الفردي و من العائلي إلى الأسري:

التحول من الجماعي إلى الفردي هو الذي حرك بشكل عنيف البناء العائلي بالمنطقة. و الذي أفرز عدة ظواهر. و إن كانت موجودة من قبل. إلا أنها تضخمت و زادت من حيث الحجم و السرعة. فظاهرة الطلاق التي أوليتها أهمية بالغة. وقد قمت بدراسة مقارنة بين عدة مدن جزائرية. بغية الوصول إلى فهم هته الظاهرة. و لكنني في الأخير لم استطع سوى تصوير الوضع القائم كما هو. و الاختلافات الموجودة بين الفضاءات الجغرافية المدروسة. لكن بعد القيام بالدراسة الحالية. تبين لي فقه و فهم الأسباب الحقيقية الكامنة وراء استفحال ظاهرة الطلاق. و هو أولا، بروز النزعة النسوانية المنتصرة و التي تقاوم من طرف النزعة الذكورية. ثانيا، هذا المد و الجزر الحاصل بين الجماعي/الفردي و العائلي/الأسري. فالفرد في المنطقة ما يزال مرتبطا أشد الارتباط بالجماعي و العائلي. و لكنه في نفس الوقت ينحو باتجاه تعزيز الأسري و الفردي. و منه كل التناقضات الطارئة بين ما هو جماعي و ما هو فردي. و الصراع القائم بين القيمة الجماعية التي ما تزال ممجدة في الوعي الجماعي. كما هي ممجدة المؤسسة العائلية. و بالرغم من ذلك، و بصفة عملية و محسوسة، فإن النزعة واضحة و بارزة باتجاه ما هو أسري و فردي. و عنصر "النسونة" يساهم مساهمة بالغة في التغيير بهذا الاتجاه. و التغيير ما يزال مؤلما. خلف وراءه ظاهرة الطلاق التي تفاقمت و ازدادت بشكل ملفت للانتباه. و كذلك ظواهر الانحراف(بروز الولاية التاسعة و الثلاثون 39 من حيث الولادات. لكنها ولادات غير شرعية). و الإجرام، بالخصوص تنامي تناول المخدرات. و كذلك

تنامي السرقات و اللاأمن الذي صار يطبع المدينة. و من كان يقطن بضاحية مدينة المشرية على الوجه الأخص.

فالانطلاق يكون دوما من المصلحة المجسدة و الحقيقية الموجودة في الواقع. فكلما وجد الآخرون من العائلة و الأقارب مصلحة فيك، كلما التفوا حولك. و كلما لم تكن نافعا لهم، رغم إمكانية تقديم الخدمة. كلما انفضوا من حولك و تركوك وحيدا. فالمصلحة صارت مركز تقوي العلاقة الاجتماعية أو تضعفها. فكلما كان لديك نفوذ و سلطة. كلما نفذت في الشبكة القرابية. و كونت علاقة متينة. و كنت محور هته العلاقة. أو في المركز. و كلما نقصت لديك السلطة: سواء كانت سياسية، إدارية أو مالية. كلما بقيت في الضاحية أو في الهامش. و التضامن مع القرابة يصبح أمرا حتميا. فإذا كان بإمكانك تقديم الخدمة و لم تقدمها فإن ذلك يكون مدعاة إلى المقاطعة و النبذ. بل و الهجوم على من امتنع عن تقديم الخدمة. و نعته بكل ما ينتقص من قيمته. حتى يوبخ و يعود إلى تقديم الخدمة المطلوبة منه. و يتم الإلحاح عليه باسم القرابة. يكثر الضغط من طرف من يستحي منهم "يحشم منهم". و هو إذا جلب للمنفعة من طرف الأقارب عن طريق الضغط عليهم. لأنهم يعتبرون ذلك من حقهم. و ما على القريب سوى الرضوخ و الامتثال. و إلا فإنه يقصى من الجماعة.

ـ المحافظ و الحداثي:التجاذب بين القطبين:

الأول:المحافظ، الذي يدعو إلى تصلب العلاقات و المعاملات. و الإبقاء عليها كما كانت. متسمة بهيمنة الجماعي على الفردي. و هيمنة العائلي على الأسري و الذكوري على النسواني. و تندرج ضمن هذا التيار بعض العائلات. و هي التي تقاوم التغيير. و تحاول التمسك بما كان عليه الأمر مع الأسلاف. و هو ما تبين لنا مع الجيلين الأوليين:من طاعة الصغير للكبير. و الكبير لكبير العائلة. و كبير العائلة لكبير الجماعة أو القوم. و طاعة و خضوع الإناث للذكور على العموم. و الصغار منهم للكبار عنهم على وجه الخصوص. و حتى النساء فيما بينهم، هناك تدرج هرمي للسلطة:أين الحماة تحكم في الكنات و البنات و كل الإناث المتواجدات في الفضاء العائلي. و الكنة المتزوجة بكبير الأولاد، تأخذ المرتبة الثانية. و تليها الأخريات. والبنات لهن مكانة معينة بين هته النسوة.

الثاني:المجدد و المساير لما هو حداثي. و يتزعم هذا الاتجاه التجديدي أو الذي أدخل على الأقل بعض العناصر التجديدية:الجيل الثالث و تعزز هذا الاتجاه مع الجيل الرابع، و ما صاحبها من التزوج من نساء عاملات. و الاستقلال في المسكن الخاص بالأسرة و الابتعاد عن العائلة. و الاعتناء بشؤون الأسرة. و الابتعاد تدريجيا عن التكفل بشؤون العائلة. و لو أن الارتباط يبقى قائما و الزيارات متبادلة. إن لم يكن الانفصال حدث جراء قطيعة و صدمة علائقية. و حتى في هته الحالة، يعمل الابن المستقل بأسرته، كل ما في وسعه، لإعادة العلاقة الظاهرية، على الأقل، إلى مستوى مقبول. حتى يتجنب تلك الضغوطات التي تمارس عليه. من طرف الوسط الذي ما يزال مرتبطا، و لو عاطفيا، بالمرحلة الأولى. أي المرحلة المحافظة التي يمجدها. و طبعا يوجد النموذج الوسيط. و هو المهيمن في المدن سواء بالمشرية، البيوض

أو مكمن بن عمار أو مدينة النعامة. و هذا النموذج هو بقاء أسرة أو أسرتين أو حتى ثلاث أسر مع العائلة، في مسكن الوالد. الذي هو عبارة عن مسكن فردي. و مكون من الطابق الأول. فيحتل مسؤول العائلة الطابق الأرضي مع بقية الأولاد و البنات الغير متزوجين. و يخصص غرفا في الطابق الأول لأفراد الأسر. أي أبناءه الذكور المتزوجين. و يجدون قاعدة من التفاهم فيما يخص التكاليف الخاصة بالأعباء و التغذية، أي الأمور المشتركة. بينما تبقى الأمور الخاصة بأعضاء كل أسرة على نفقة صاحب الأسرة ذاته. و بالخصوص من ملابس و تكاليف الدراسة أو العلاج أو الأسفار و التنقلات أو الأفرشة و الأغطية التي تستعملها الأسرة. و هذا في حد ذاته نوع من الاستقلالية. و الانتقال من النوع التقليدي المحافظ. الذي كان سائدا مع الجيلين الأول و الثاني بمفهوم هته الدراسة. و الذي لم يكن يعرف هذا النوع من التشتت. فكل السلطة كانت ممركزة لدى مسؤول العائلة. و هو الذي يتكفل بكل ما تحتاجه العائلة و كل الأسر التي تنتمي إليها. من أغذية و ألبسة و أفرشة و أغطية. و الأولاد لم يكنوا يعرفوا حتى التعامل بالعملة. التي كانت ممركزة في يد مسؤول العائلة أو نجله الذي يكلفه ببعض المهام. حتى يعده لتحمل المسؤولية بعده.

- **التضامن/التعاون:** تضطر بعض العائلات. لتقاسم بعض الموارد الناذرة و الشحيحة على بقية أفراد الأسر المكونة لها. على أن تتركهم بدون حماية. و إن عززت هته الوضعية من الهشاشة و الفقر الذي تعيشه هته العائلات. فتتقاسم الشيء القليل. مما يزيد من إضعافها. حيث إن بعض أفراد العائلة تكون له بعض الإمكانيات المتواضعة. التي يمكن تكديسها. و الخروج من الوضعية المتردية. باعتماده استراتيجية المنفعة الخاصة. لكن بتعاونه مع بقية أفراد عائلته. فإنه يبقى حبيس هته الوضعية الهشة. و لا يستطيع التمايز عن بقية أفراد عائلته. مع أنه بإمكانه فعل ذلك. أما بعض الأفراد الذين لهم إمكانيات محترمة. فإنهم يهتمون بأنفسهم و أسرهم. قصد تحقيق التمايز عن البنية العائلية التي ينتمون إليها. و لا يقبلون بأي حال من الأحوال الانتقاص من مكانتهم. مهما كانت وضعية عائلتهم متردية. فإن هم بددوا مواردهم. فإنهم يضيعون مكانتهم المكتسبة. و منه يمكن القول بأن آلية التضامن تسير وفق هذا التنظيم أو المنطق:لا يمكن للناجع أن يوزع نجاحه على الفاشلين. لأن ذلك سوف يلحقه بهم. و دون التمكين للآخرين. أي أفراد العائلة من الالتحاق به. و لذلك كان من الممكن للمتمكن و الناجح أن يساعد عائلته و حتى أهله. على حساب عائلات أخرى. إن كان مسؤولا عن مرفق عام. فيمكنهم من الاستفادة من المال العام أو الخدمة العمومية. التي قد لا يستفيدون بها لو لا تدخله. لكن أن يتضامن معهم بماله الخاص. فذلك أمر آخر. فأي مساعدة معناه الانتقاص من الموارد التي توجد لديه. و هنا طبعا تتغير المعطيات. و لذلك نلاحظ أن بعض العائلات. قد شطبت بعضا من أفرادها. الذين صاروا متمكنين. و لكنهم لا يعينون عائلتهم. و هذا الشطب يعني عدم التعامل معه. و كأنها تلغي رمزيا، ذلك التفوق المادي، الذي تحصل عليه. فهو صار غير موجود. و يمنع حتى مجرد الكلام عليه 'هذاك خلينا منه'.

3. من التصلب إلى المرونة:

مرحلة التصلب اتسمت بتجمع السلطة بيد الجماعة. الجماعة التي كانت ضاغطة بشكل كبير على جل الأفراد:تنظم و تؤطر التصرفات الفردية. تعزل أي فرد يخالف القواعد المتعارف عليها. فيتم تهميشه و لا تتعامل المجموعة معه. و بالخصوص ذلك الذي يخرج عن طاعة العائلة:**"هذاك مسخوط الوالدين"**. أي سخط عليه الوالدان. فيشار إليه بالبنان:"ذلك الشخص لم يكن خيرا مع والديه. فكيف يتسنى له أن يكون خيرا مع الآخرين. فالوالدين هم أقرب الأقارب. فلا أقارب و لا أصهار و لا قبيلة. و بالمقابل فإن الإنسان المحلي، أخشى ما كان يخشاه، أن يعزل عن الجماعة التي ينتمي إليها، التي فيها يولد، ينشأ، يعمل، يتزوج، يتفاعل، يأخذ المكانة و يعيش في هذا العالم المغلق، الذي لا يستطيع أن يستغني عنه. و بدونه يتيه و يضيع. لكن مع اعتماد الانفتاح على المحيط الخارجي، و ما يحتويه من مؤسسات تنشئة غير العائلة و القرابة، (مؤسسات: تربوية، تكوينية، المسجد، الحي، المدينة) و مؤسسات الشغل، (العامة، الخاصة:رسمية و غير رسمية)، صار المجال الحضري مفتوح للفرد. إذا عرف كيف يفاوض و يستفيد من الخدمات التي يقدمها. و صار بإمكان المفاوض المقتدر، الذي له رأسمال علمي، معرفي و علائقي معتبر أن يستغنى عن ذلك المجال المغلق. و لا يخشى ذلك العزل و التهميش من المغلق. لكونه وجد البديل. و هو إمكانية الاندماج في ذلك المجال المفتوح. و بالتالي صار الاتجاه نحو الفردنة. و صار الإنسان المحلي بدون ضوابط خارجية.

فالخطر الذي يداهم **"القيم المتأصلة"** في المنطقة. هو اعتبار المروق أو الخروج عنها:**"أمرا عاديا"**. مما يؤدي إلى التساهل مع كل ما يحدث و يجدد. كل خروج عن القيم كان يواجه برفض شديد. و بالضغط المستمر على كل من يخرج على المتعارف عليه. ثم عن طريق التحدث عن ما كان غير مسموح به. و مجرد الكلام فيه يعتبر نشر له. و اعتباره أمرا واقعا و حاصلا و لا مجال لتفاديه. و بالنظر إلى مواصلة الحديث في أمور كانت من الممنوعات و لا يمكن تناولها بالكلام أمام الآخرين. الأمر الذي أحدث نوعا من "المرونة" في المواقف. و مما سمح بإحداث التغيير. الذي كان يواجه بكل تصلب و مقاومة. صار بالإمكان التحدث فيه و البحث له عن مبررات. أو على الأقل اعتباره:**"كضرورة"** فرضتها مقتضيات العصر، أو الزمان. و بالتالي إمكانية التعامل مع هته المستجدات بنوع من المرونة. حتى و إن لم نتقبلها و نرضاها لأنفسنا و أهلينا. يمكن أن نتفهم من يقبل عليها.

ـ المقاولة و العائلات بالمنطقة، رفض التعامل بالربا:تربية الماشية تبقى هي النشاط المهيمن في المنطقة. و كل من له رأسمال يريد أن يستثمره، فإنه يستثمر أمواله في تربية الماشية، أما الميادين الأخرى للمقاولة فهي متنوعة و ضعيفة. هذا الضعف راجع بالدرجة الأولى إلى محدودية رأس مال الابتداء و الانطلاق. و هذا راجع إلى عزوف السكان من الاقتراض على البنوك لتعاملها بالربا. بالنظر إلى الرأسمال الثقافي و بالخصوص التعليمي الذي تحصل عليه بعض الشباب. صاروا يحاولون اقتحام بعض الميادين التي لم يقتحمها الآباء و الجدود و حتى الإخوة. لم يعودوا يقبلون على نفس النشاط. يحاول كل فرد أن يجد النشاط الذي يتلاءم مع مقدراته

العلمية و المعرفية. أو حتى المجازفة في بعض الميادين التي لم يتلق أي تكوين فيها. و يمكن القول بأن النشاط الأكثر رواجا في المنطقة هو التجارة. من تجارة التجزئة بمختلف أنواعها، إلى تجارة الجملة:من الأغذية إلى الأثاث مرورا بالأجهزة الالكترونية و المنتجات التقليدية من أفرشة و أغطية. و هو نشاط واسع في مدينة المشرية على وجه الخصوص. و التي تعتبر قطبا تجاريا مهما بالنسبة للولاية بأكملها. يأتي بعد هذا النشاط التجاري المقاولة المتخصصة في البناء. و بالنظر إلى الاحتياج المتزايد للسكن. و بالخصوص أمام الفرقعة التي تعرفها جل العائلات. و محاولة استقلالية كل أسرة بسكن خاص بها. و ذلك بالنظر إلى الإكراه الممارس من طرف النزعة النسوانية المحلية. كما باينا ذلك سابقا. فكل من له الاستقلالية المالية من المتزوجين حديثا. يحاول أن يتحصل على سكن خاص بأسرته في أقرب الآجال.

ـ الجمع بين المتناقضات:يبدو لي أن مسار العائلات الجزائرية بالمنطقة يحاول التركيب بين المتناقضات. فلا هو أبيض شديد البياض أو أسود شديد السواد. أي أنه ليس تقليدي محض أو عصري محض. كما أنه ليس منغلق مطبق الانغلاق على ذاته و لا هو منفتح كليا. ولا هو معتمد لذكورية متسلطة ولا حتى نسونة مفرطة. و منه نجد العائلات المحلية غالبا ما تجمع بين المتناقضات في نفس الوقت و في نفس الفضاء الجغرافي. فهي تعتمد القديم و بالخصوص في شقه الصلب، كما تعتمد الذكورية المهيمنة و الانغلاق على بعض القيم التي تحملها. و تميز المجتمع المحلي. و ما تزال متمسكة بالمؤسسة العائلية. ولكن في نفس الوقت فهي تعيش وقتها الحديث. و تجدد في كثير من المعالم القديمة، عن طريق إحداث مرونة في المعالم القديمة الغير متصلبة. كما تسمح بالنزعة النسوانية و إن حدت لها حدودا و سيجتها بخطوط حمراء، لا يجب تعديها و إلا حدث الطلاق. و تسمح العائلة بتأسيس الأسر و انفصالها على المؤسسة العائلية التي أوجدتها و استثمرت فيها. كما أنها في نفس الوقت تعتمد على سمة **"الكرم".** التي داومت عليها و حملتها من الفضاء البدوي و تمارسها حتى في المدن الكبرى بالمنطقة. و لا يمكن حتى للعائلات المقدر عليها رزقها أن تعتمد البخل. أو تجد مبررا موضوعيا من أجل التقاعس عن إكرام الضيف. فهي مضطرة لأن تكرم ضيفها و إن اقترضت من اجل ذلك. و بالمقابل نجد جل العائلات تعتمد الحرص الكبير على عدم التفريط في مصالحها. و أخذ كل الاحتياطات و التدابير على ألا تخسر أدنى دينار دون مقابل. بينما يبدو لنا أنها تبذر الكثير من المال في مقابل القيام بواجب 'الضيافة'، و الاحتفاظ بمؤسسة الكرم. و منه يمكن القول أن العائلات بالمنطقة تستثمر في العلاقات البينية. التي تحدث بين العائلات. وذلك قصد تلميع صورتها لدى الآخر. فالحرص على تحقيق المصلحة المادية و عدم التفريط فيها. لكنه و في نفس الوقت يتصف بالكرم. يبدو لنا و كأنه يبذر بسهولة ما جمع بكل صعوبة و بأشق الأنفس. و قد نفسره على انه فعل غير رشيد أو غير منطقي و لا عقلاني. لكن إذ ما علمنا بأنه يلمع صورة العائلة لدى الآخر. و التعرف عليه و التقرب منه. بل و نسج علاقة وطيدة معه و ذلك جلبا

للمنافع. و من أبرزها الاستفادة من الشبكة العلائقية التي تمتلكها العائلات الأخرى التي تدخل معها في علاقة. و التمكن من إعادة إنتاج العائلات بسهولة:تزويج أبنائها سواء كانوا ذكورا أو إناثا. و هذا ما صار يمثل تحدي كبير بالمنطقة. أي عدم قدرة العائلات على تزويج أبنائها ذكورا و بالخصوص الإناث. فمؤسسة **"الكرم"** تسمح بديمومة الشبكة العلائقية. بل و إمكانية توسيعها إلى علاقات جديدة. و لو كان ذلك في فضاء المدينة، التي فرضت الكثير من منطقها على السكان الوافدين إليها من الفضاء البدوي. لم تتمكن من انتزاع هته السمة التي تعتبر من الأبعاد الصلبة. التي يتمسك بها سكان المنطقة.

ـ الاندماج، الذوبان و التمسك بالإنية:مبدأ التصلب و المرونة، عرفته حتى أسماء العائلات:فمنها من احتفظ باسم جده الأول. وتمسك به و صار رمزا يميزه عن غيره. ولا يمكنه التفريط فيه. و منها من غير اسمه. بمناسبة تقديم الولاء. و غالبا ما يحدث ذلك بعد هجرة بعض العائلات أو الأفراد من مكان إلى آخر، في ديار الإسلام. فمن كان يحمل رمزية عالية و انتماء إلى أحد المعالم الدينية بالخصوص، تقبلته قبائل و عائلات أخرى. و استعملت اسمه. إذ إن هته القبائل و العائلات انتمت إلى هذا الرمز عن طريق الولاء الذي قدمته إليه. فانمحت و انمحى اسمها ليبقى اسم "الرمز" دال عليها. هذا ما وقع مع "سيدي بوتخيل" الذي وصل أبناؤه إلى منطقة عين الصفراء بجنوب ولاية النعامة. و الذين انضم إليهم سكان المنطقة عن طريق 'الولاء'. فأصبحوا يحملون هذا الانتماء:"أولاد سيدي بوتخيل، عن طريق الولاء و ليس عن طريق الدم. "و أصبحوا يشكلون تجمعا مهما في المنطقة. لا يضاهيهم سوى عرش "العمور". الذي حافظ على انتمائه القديم. و دخل في صراع مع هذا التجمع الجديد الذي صارت له:

شرعية رمزية، دينية، روحية. بينما احتفظ عرش العمور بشرعية:المحلي القديم. و صار كل طرف يستند إلى الشرعية التي يحملها قصد الحصول على أحقية الريادة و السيادة في المنطقة. و كأن العائلات التي انضمت، عن طريق الولاء، إلى الشرعية الرمزية، الروحية قد تخلت عن محليتها و أقدميتها في المنطقة. لتتمتع بالرمزية الروحية لأولاد سيدي بوتخيل. بينما تصلب عرش العمور في الاحتفاظ باسمهم و بانتمائهم إلى المحلي الذي احتكروه لأنفسهم على حساب المحليين الذين قدموا ولاءهم لأجنبي عن المنطقة. و لو كان ينتمي إلى علم من أعلام الصوفية الإسلامية:سيدي بوتخيل، من أبناء العلم، الرمز:"عبد القادر الجيلالي". هكذا يبدو الأمر في جنوب ولاية النعامة. أما في شمال الولاية، محل الدراسة، فإن البعد القبلي تراجع كثيرا. ليترك المجال لبروز العائلات. و إن كان ما يزال محدد القبيلة بارزا في مجال تحديد الهوية. لمن كانت عائلته غير بارزة أو متمكنة. و مع ذلك، صار مؤشر"القبيلة"، غير كاف. ذلك أنه فقد كثير من معالمه، بالخصوص مع الأجيال الحالية. و إن كان المسنون ما يزالون يحتفظون بصور نمطية قديمة عن تلك التنظيمات القبلية. فلا بد من التعرف، أولا و قبل كل شيء، على العائلة ذاتها، التي يراد أن يدخل معها في علاقة. ثم سرعان ما ننتقل للتعرف على الفرد الموجود

أمامنا:مستواه الدراسي، المهنة التي يقوم بها و بالخصوص، ما يمكنه تقديمه من خلال المنصب الذي يشغله. إذ يعزز النسيج العلائقي معه، كلما كانت المصلحة قوية، و الفائدة المرجوة من هته العلاقة كبيرة.

فالجمع بين المتناقصات في نفس الوقت، و في نفس المجال المكاني، هو الذي يسمح باستدامة الصراع و الحركة التي تفيد التغيير. و الخروج بصفة نهائية من ذالك السبات العميق و الثابت المتصلب، المعتمد من طرف البنيات الاجتماعية و العلائقية. و أخذ موقف من المعاني التي لا يمكن الاحتفاظ بها مجتمعة في مجال مكاني و بشري، بالنظر إلى التناقض الذي تحمله. و هو الأمر الذي وقفنا عنده. و الذي لا يتمثل في نموذج خالص، سواء كان قديما أو جديدا. فهي محاولة للجمع و التوفيق ولو بين متناقضات و في نفس الوقت. و الصراع يبقى متواصلا: يفصل في بعض القضايا. بينما يبقي على أخرى كما هي. الأمر الذي يحدث نوعا من التوتر و الغليان الضروريان لعملية التغير. و المهم أن المجتمع المحلي قد خرج من حالة السبات التي كان عليها، إبان الحقبة الاستعمارية. و هو الآن ينشيء في التجمع الأسري بموارد تقليدية قديمة و أخرى حديثة متجددة. و يحتفظ بما هو صلب، محافظا في ذالك على إنيته و استمرار الأجيال القديمة عبر الأجيال الجديدة. و لكن و في نفس الوقت معتمدا الكثير من العناصر الجديدة. الأمر الذي يجعل الأجيال الحالية مختلفة كل الاختلاف على الأجيال السابقة، من حيث:التعليم، المهن المحترفة، المجال المسكون، طرق الزواج و الطلاق. هذا الاختلاف المتميز هو الذي ينعكس على نوعية الأهداف و الطموحات التي يصبو إلى تحقيقها الجيل الجديد. و التي تختلف كل الاختلاف، على مستوى و نوعية الطموحات بين الجيل الأول و الخامس من هته الدراسة.

يبدو أن المسار الذي يعتمد حاليا في المنطقة، تكتنفه مرونة متزايدة و أكبر من تلك المعتمدة آنفا، مع الأجيال السابقة. إذ إنه يقلص من المتصلب و يعمد إلى التجديد. الأمر الذي من شأنه أن يبعد عن المتأصل المعهود، المنتج في المجتمع المحلي. و يوسع دائرة و حجم التبعية لما ينتج من معنى في الغرب. بالنظر إلى الانفتاح على العوالم الخارجية. فإنتاج المعنى من الفاعلين الاجتماعيين المحليين ما يزال في طور النشء و التأسيس. و هنالك من القضايا التي لم يتمكن المجتمع المحلي من إنتاج معنى لها. و يبقى متمسكا بالنمط القديم. بالرغم من اعتماد آليات جديدة. عززت من الابتعاد عن إمكانية الاحتفاظ بذلك الجزء المتصلب من العادات و التقاليد.

بالنظر إلى التحديات الضاغطة على المجتمع المحلي و الرهانات العالية التأثير على الإنية المحلية. فإن المستقبل القريب يبقى هو الكفيل الوحيد بالإجابة على كيفية إنتاج بعض المعاني التي يمكن اعتمادها. كحل مشكلة العنوسة النسائية، أو التعامل بالربا في إنشاء بعض المشاريع الاستثمارية الخاصة بالجيل الحالي و الجيل الذي يليه. كمثال عن أكبر تحديين:كعدم التمكن من إعادة إنتاج بعض العائلات لذاتها. في قصورها عن تزويج بعض إناثها. و كذلك قصور العائلات في توفير الشغل لبعض أعضائها:إما بالعمل في مشاريع ممولة من رأسمالها، أو عدم قدرتها على الوساطة.

أي عدم قدرتها على إنشاء شبكة علائقية متمكنة تسمح لها بتوظيف عناصرها البشرية. **واتسم هذا المسار بالسير من الجماعي إلى الفردي. و من العائلة التقليدية إلى العائلة الحالية.**

العائلة التقليدية:الزواج كان ضرورة عائلية بالدرجة الأولى. و منه فإن العائلة هي التي ترتب الزواج وتعمل على استدامته. إذ يعتبر الزواج إكراها للطرفين الزوج والزوجة على مواصلة العشرة و إن تعذرت. فالعائلة كانت متصلبة و قاهرة. ممثلة في رئيس العائلة الأب الآمر الناهي لكل من الذكور و الإناث الموجودون في فضاء العائلة. وحتى في مجال القرابة ينصاع الآخرون لأمره. ومنه وجود 'كبير العائلة' القرابية بالمفهوم الواسع. حماية البيت الزوجي من طرف العائلة. يؤدي إلى الهيمنة عليها. فالعائلة هي التي تتسبب في إيجاد البيت الزوجية. و هي التي تضع حدا لوجودها أو تساعد على استمرارها. وفقا لما تراه يخدم مصلحتها. البيت الزوجي يعتبر استمرارا لها و لمكانتها. العائلة استمرارية الأموات من خلال الأحياء. و منه تعتمد:التضحية/ التعاون/و الإخلاص.

العائلة الحالية:هي التي تسعى لتزويج أعضائها لما يخدم مصلحة العائلة. ولكن في نفس الوقت بما يخدم مصلحة المقبل على الزواج، سواء كان ذكرا أو أنثى. و هي العائلة التي تحاول توجيه ومراقبة الزوجين. وبالرغم من تدخلاتها إلا أنها تترك هامشا مهما لتحرك الزوجين ذاتهما. وتحملهما مسؤولية نجاح أو إفشال العلاقة الزوجية. تتباين تصورات واهتمامات الزوجين. ثم النزعة لاستلاب سلطة الزوج تدريجيا. بالنظر إلى النزعة النسوانية التي تفرض على الزوج رد الفعل المنعكس الشرطي. الذي ينطلق من ذكوريته. فيلجأ بعضهم إلى الطلاق رافضا للنزعة النسوانية الكاسحة. ومنهم من الرجال من يتمكن من كبح هته النزعة. و آخرون يسايرونها في كثير مما تذهب إليه. و آخرين لا يكترثون بذكوريتهم في حدود بعض الخطوط الحمراء اليسيرة والقليلة العدد.

صارت الأسرة مكونة من أشخاص يبحثون على الاسترزاق. اعتمادا على جهدهم الشخصي. ومن قداسة الزواج إلى الزواج مثل الآخرين. إلى الزواج الذي يحقق الذات و الملذات. تحقيق السعادة من وراء الزواج. فمن**"الزواج الواجب"** إلى الزواج الذي يحكم المصلحة، **"زواج المصلحة".** العائلة هي التي تتكفل بتزويج ذكورها و إناثها. بالنظر إلى صعوبة المقبل على الزواج من القيام بذلك بذلته، نتيجة طول مدة التخرج من النسق التعليمي و التكويني. ثم البحث عن منصب شغل. والمدة التي يتطلبها تكديس الأموال الضرورية للإقبال على تكاليف الزواج، التي صارت جد مرتفعة. فتكفل العائلة بتزويج عناصرها، وبالخصوص الذكور منهم، يؤسس و يفرض حق العائلة على المتزوج. لأن القران تم برأسمال العائلة المادي والرمزي. مما يفسر مستويات تدخل العائلة في هذا الكيان(الأسرة) الذي أنشأته. الاستعراض يمثل القسط الكبير في تكلفة الزفاف. و هو صراع من أجل تبيان المكانة. و إظهار القدرة والقوة واحتلال المكانة الرمزية. و بالنظر إلى تزايد نسب الطلاق، فإن كثيرا

من الآباء صار يزهد في هته المؤسسة. وصار يعطي الأولوية لتعليم الفتاة قبل تزويجها. و إن خطبها خاطب:"فهي ما تزال تدرس".

ـ **وجوب إدراك التغيرات السريعة بالسرعة المطلوبة:**حتى نتمكن من معرفة الواقع كما هو بكل تعقيداته، و بالرغم من دوامة الهزات المتتالية لكل المؤسسات، علينا أن نعد أنفسنا بكيفية لائقة مسبقا. حتى نتمكن من الفهم الصائب. و لا يتأتى لنا ذلك إلا إذا اعتمدنا على بنوك معلومات. تكون في خدمة الباحثين الذين يريدون أن يتعمقوا في المعارف الحالية. أو يرون أنها ما تزال مجهولة و في حاجة ماسة إلى المعرفة. و تكون هته البنوك في خدمة متخذي القرار: السياسة، الاقتصادي، الثقافي بكيفية ناجعة. انطلاقا من الواقع الحقيقي الفعلي. لا الواقع الافتراضي كما نفعل دوما. و من هته المعلومات الأكيدة التي يجب جمعها. ما تعلق بالاجتماع العائلي. معرفة كيف تأقلمت العائلات مع التحولات التي وقعت في الجزائر. منذ ثلاثة أجيال نحو الرأسمالية. و كيف يتصور الجيل الرابع استشراف البناء الأسري الخاص به. كيف حدث التفاعل بينما يحدث في المحيط الوطني و الإقليمي. مع إفرازات أثرت على العائلات. لكن كل عائلة على حسب قدرتها التفاعلية(اختلافات المراحل و السياقات). المسار العام يطرح قضايا عامة. لكن كل عائلة تستجيب حسب قدراتها الكامنة لهذا المسار العام. الذي دون شك يحدث تأثيرا. لكن هذا التأثير ليس متجانسا. إذ يتأثر بعاملي التحديات و الرهانات:التحديات التي تعني: الظروف الخارجية. سواء كانت فرص متاحة سانحة أو ظروفا قاهرة. و الرهانات التي تعني: كيف تتم عمليات الإدراك لما يجري في المحيط. و ما هي اهتمامات العائلات و مشاغلها. و بالخصوص ما هي الأمور التي تبحث عن تحقيقها. أو اجتماع المقصد و الإرادة. دراسة العائلات الجزائرية. كما أجريتها لم تأتي من فراغ. و إنما أتت بعد تكديس للمعرفة السوسيولوجية للعائلات الجزائرية. فبعد أن درست الآليات الداخلية للأسر التي حدث يفها طلاق. و ذلك بتقديم دراسة **ظاهرة الطلاق:"من التلاقي إلى الطلاق".** ظهر لي أن المعرفة المتوصل إليها هي معرفة جزئية. تهتم بالدرجة الأولى بالتعرف على ظاهرة الطلاق. و معرفة العائلات التي مسها 'الطلاق'. أكثر من معرفة العائلات في عمومها. و بالخصوص معرفة التحديات التي تقف أمام إنشائها. (لأنني درست العائلات التي يتوقف فيها هذا المسار). و التطرق إلى أهم الرهانات التي تبقى على العائلات أولا فهمها. ثانيا:الاختيار من بين الاحتمالات التي تعتبر هي الخيارات الموافقة لمكانة الأسر المدروسة. لم يكن الموضوع اختياري بقدر ما كان استمرار منطقي لعمل قد بدأ و لم يكتمل بالضرورة. بعد القيام بهذا العمل المتواضع المحدود في الزمان و المكان. ذلك أننا إذا أردنا معرفة كلية و قريبة من الواقع. علينا أن ننشئ مؤسسة تجمع المعطيات بشكل دوري كما هو مبين أعلاه. وتحصل عليها انطلاقا من عينة ممثلة للعائلات على المستوى الوطني. ما يسمى ببنك للمعلومات. الأمر الذي يتجاوز حتما جهود الباحث المعزول. فلا بد من التأسيس للعمل المؤسساتي. و هو ما يجب أن يكون. و بالخصوص أن الجزائر لها

المؤسسة الوزارية المهتمة بقضايا الأسرة. و عليها أن تقوم بهذا الدور المهم. من أجل معرفة الاجتماع الجزائري بكيفية:شاملة، دائمة و مستمرة في المكان و الزمان.